بسم الله الرحمن الرحيم

(كلمة الدكتور طه العلواني للمستشارين)

وقد قرأها د. جمال البرزنجي على الحاضرين بالكامل في الجلسة الثالثة

الحمد لله وبه نستعين...

كلمتي للمستشارين

أيّها الاخوة...

إنّ الأمم والحضارات لا تدخل دوراتها الحضاريّة، ولا تبنى إلاّ بمؤسّسات متنوعة قادرة على فعل ذلك، متمكنة من بناء إرادة وفعل جماعيّ متّصل، ذي امتداد في الزمان والمكان، قائم على تفاعل بين المشاركين فيه، وانفعال يجعل الدور الفرديّ دورًا قد لا يلتفت إليه، وقد لا تلحظ أهميّته، إلا في إطار ذلك المجموع الذي يشارك في صنع العقل الجماعيّ الحضاري، فالمجموع يشكل نسيجًا من علاقات متداخلة بين خيوطه، بقدر ما تتداخل وتتلاحم، بقدر ما تكون المؤسسة أقوى وامتداداتها أكثر فاعليّة في الزمان وفي المكان.

وحين تعجز الأمّة عن بناء الجديد من المؤسّسات الضروريّة، ومواصلة الحفاظ على القائم منها، فإنّ ذلك نذير عجز، وارهاصات انكسار.

ولعل أول خطوات أمتنا نحو مسيرة "التراجع الحضاري"، بدأت عندما بدأت مؤسساتها بالانهيار . فلم تتحرك الأمة لإنقاذها وإعادة بناء ما انهار منها، وإقامة ما هو مهدّد بالانهيار، أو كان مما يريد أن ينقض.

إنّ عمليّات "تغيير وجهة أمتنا" في العصور الأخيرة، بدأت كذلك بتغيير ما بقي من مؤسساتها، وإحلال مؤسسات مستوردة من نسق حضاريّ آخر محلها، لتبدأ حالة قلق نفسيّ واضطراب فكريّ وتذبذب حضاريّ، بلغ غايته في عصرنا هذا في كثير من بلداننا المسلمة.

وبداية التجديد، والبعث، والإحياء، لا يمكن أن تنطلق بشكل سليم، إلا من خلال مؤسّسات قد يبنيها أفراد أو جماعات، لكنّها ينبغي أن تحظى بحب وولاء وقناعة الأمّة بعد ذلك، لتبدأ فاعليّتها الحقيقيّة في التجديد والبعث والإحياء؛ والأفراد بعد ذلك أو الجماعات المؤسّسة قد يرفع لها ذكر في هذه الحياة، وقد تنسى في حالة تمثُّل الأمّة لمؤسساتها؛ لكن ذلك - كله - لا يؤثر على الاستمرار والاتصال إذا أريد وجه الله - تعالى - بالعمل، وأخلصت النوايا له جل شأنه.

إنّ مؤسسات "التجديد والاحياء" هي أدوات ضروريّة لإحداث التغيير والنقلة الحضاريّة والفكريّة.

وقبل أن أتناول المعهد باعتباره "مؤسّسة تجديد وإحياء"، أود أن ألفت الأنظار الكريمة إلى اشكاليّة عميقة الجذور في تاريخنا، سرطانيّة في فروعها وتشعُّباتها وامتداداتها، لا تزال حيّة جذعة في بيئآتنا الفكريّة، تؤتي ثمارها المرة وآثارها الخطرة في ضعضعة وإضعاف مؤسساتنا، وهي: عدم وضوح العلاقة بين الأشخاص الطبيعيّين والأشخاص المعنويّين - كما في تعابيرنا الفقهيّة - أو: اضطراب العلاقة بين المؤسّسات والأفراد (أو الاشخاص الطبيعيّين)، سواء أكانوا

Dr Jamal al Barzinji reading Dr. Taha' a/ AlwaniS Address in Arabic. I-e.Jt to right: Dr. I-ouay Sao, Dr. Omar Kasule, Br. Samil Sahin and Dr. Anas al Shaikh Ali.

مؤسّسين لتلك المؤسّسات، أو وارثين ومجدّدين فيها. فقد ينظر البعض للمؤسّسات كشخصيّات معنويّة في إطار الأفراد كاشخاص طبيعيّين، وقد تضمحل الفواصل بين الأُثنين، نتيجة نرجسيّة بعض الأشخاص الطبيعيّين، أو النظرة المختلطة للأمّة إلى الطرفين، فتتحول الأهداف الجليلة للمؤسسات، إلى أهداف لا تشعر الأمّة بالحماس لها، ولا تستطيع أن تدرك بأنها جزء من أهدافها أو أولويّاتها. وآنذاك تكتب شهادة وفاة المؤسّسة، لتحل محلها شهادة ولادة لعبقريّ فرد مصلح، خارق للعادة الفكرية أو الثقافيّة. لكنّ هذه الولادة لن تلبث أن تتلاشى، حين يسمح مثل هؤلاء بتلاشي المؤسّسة، وتعليق أهدافها الكبرى أو آمالها في عنق فرد أو أفراد مهما كانوا، فتلك بداية النهاية للطرفين: للمؤسسة كشخص معنوي، وللأفراد كأشخاص طبيعيّين.

لقد عانت أمتنا كثيرًا من فهم "حديث التجديد" فهمًا فرديًا. لقد كان ذلك الفهم المنحرف من أهم دعائم الانحراف في قضايا التجديد والاحياء – كما كان وراء فشل الكثير من المحاولات التجديديّة في تاريخنا.

فالفرد والمجموعات البشريّة الصغيرة مهما بلغت فإنها لن تكون أمّة أو بديلاً عنها، ولذلك كانت "النبوة" من أمر ربي.

لقد استقر في أذهان أمتنا أنّ "التجديد" يقوم على فرد جامع للعلوم والحكم، قادر على الاجتهاد المطلق، وتحقيق التغيير.

من هذه النقطة الخطيرة، أو الاشكاليّة الهامّة، أرجو أن ننطلق في مراجعة قضايا "المعهد العالمي للفكر الإسلامي" ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً، أهدافًا وغايات ووسائل.

لقد عُقدت قبل اجتماعكم – هذا – اجتماعات ثلاثة، تمخض كل منها عن شئ هام، كان له آثاره الفكريّة والتنظيميّة. وأرجو أن يخرج لقاؤكم هذا بما يضيف إلى البناء، خاصّةً في هذه المرحلة التي صار لتلك الأفكار والأهداف والمبادئ مؤسّسات أكاديميّة عالية المستوى، منتشرة في مختلف القارات، عالميّة التوجّه، تحتاج إلى جهود أكاديميّة متخصّصة ومتنوّعة، ستفرض استعمال وسائل وأدوات وسياسات متجددة لتلبي تلك الاحتياجات الضروريّة. فماذا على "بؤرة التجديد الفكري والتخطيط العلمي والمعرفي والأكاديمي" أن تفعل؟!

إنّ "المعهد العالمي للفكر الإسلامي" الذي تجتمعون – اليوم – في إطاره؛ وباعتباركم مستشاريه، مؤسسة من أهم مؤسسات الأمة، التي تأسست في بداية هذا القرن الخامس عشر الهجري. فالمعهد العالميّ للفكر الإسلامي، بدأ فكرة جماعية لنفر من علماء الأمة والعاملين لها، واستمر كذلك، ونأمل له مستقبلاً يكون امتداداً لماضيه، بفعل حضاريّ يستوعب أثر الزمان في الأفكار وفي الإنسان وفي الغايات، مهما كان ذلك الأثر.

وهذه المؤسسة الفكريّة، التي لم يسبق للمسلمين في القرنين الأخيرين أن أسسوا مثلها، في غاياتها ومبادئها ومنطلقاتها، والظروف المحيطة بها، أُسّست على تقاليد معينة وأهداف محددة، حاولت في العقد الماضي من عمرها أن ترسّخ هذه التقاليد، وأن تحقق بعضًا من هذه الأهداف، وأن تحدث النقلة النوعيّة المرجوة منها. والقائمون عليها قبل غيرهم، يدركون طبيعة عمليّات التحوّل الفكريّ والمعرفيّ في الأمم، ذات التقاليد الفكريّة العميقة والواسعة، وصعوبة ذلك، وأهميّة التعامل معه بدقة، وعبر مراحل محدودة لا يمكن تجاوزها أو القفز عليها، وإلا

عاد ذلك بالبطلان على الفكرة من أساسها. ولذلك فقد كانت هناك مراحل في عملنا منها:

أولها: مرحلة التعريف بالفكرة والتبشير بها، من أجل إكسابها شرعيّة الوجود والحجيّة والانطلاق.

وثانيها: مرحلة التأسيس المنهجيّ، من خلال بناء القواعد والأسس الفكريّة والمعرفيّة والمنهجيّة.

وثالثها: مرحلة إيجاد الأطر والكوادر الفكريّة الحاملة لهذه الأفكار، والمنفعلة بها، والمتفاعلة معها، والمستبطنة لها، والقادرة على تطويرها وتفعيلها والامتداد بها إلى غاياتها العليا، لتتحول المدرسة إلى تيّار فكريّ واجتماعيّ، يستطيع أن يوجد عقليّة قادرة في الأمة كلّها بعد ذلك، ليتحقق التجديد والنهوض والشهود الحضاريّ، وسائر الأهداف المرجوة.

وقد استطاع المعهد منذ تأسيسه حتى الآن، أن يتجاوز المرحلة الأولى بعد استيعابها، بحيث صار الباحثون في أي موضوع من الموضوعات الإسلاميّة أو الاجتماعيّة، لا يستطيعون أن يعتبروا بحوثهم كاملة، دون الرجوع إلى دراسات وكتب ومؤتمرات "المعهد العالمي للفكر الإسلامي"، أو الحديث على الأقل عن قضية "إسلامية المعرفة" أو "التأصيل الإسلامي للمعرفة"، باعتبارها قضايا معرفيّة ومنهجية لا يمكن تجاوزها. بل إن هناك كثيرًا من الكاتبين صاروا يخلطون بين "إسلامية المعرفة"، والمشروع الإصلاحيّ الإسلاميّ العام، بمدارسه المختلفة، خلطًا يجعلهم في بعض الأحيان ينسبون الفكرة إلى هذه المدرسة أو تلك، أو هذا المفكر الإصلاحي أو ذاك. وقد يجعلون المشروع كله تطبيقًا لبرنامج هذا المفكر أو ذاك. ويمكن القول إن قضية "إسلاميّة المعرفة"، وسائر الأفكار التي أنتجت فيها وحولها

صارت عنوانًا على سائر الجهود المنهجيّة والمعرفيّة والثقافيّة (بل والأكاديميّة) الجارية في هذا العصر.

وهذا ينبغي أن يدرك في إطاره، لأنّ هذا الشيوع والانتشار، بقدر ما يحمل من مؤشرات إيجابيّة في الجملة، فإنّه قد يثير تساؤلاتٍ ربما تؤدي إلى تفرُّق القاعدة الثقافيّة في الأمّة إلى تكتُّلاتٍ حول المشروع، تقسم الناس ما بين مؤيّد، ومعارض بشدة، ومتحفظ. وقد أتيحت لي معالجة هذا الموضوع بتفصيل في اجتماع المستشارين الذي عقد في فيرجينا عام ١٩٨٩م، وقدمت فيه تلك الورقة، التي طبعت ونشرت فيما بعد تحت عنوان "إصلاح الفكر الإسلامي"، كما صدرت مطورة بعد ذلك بعنوان "نظم الخطاب" وطبعت طبعات عديدة.

غاية القول أنّنا قد تجاوزنا مرحلة التبشير بالفكرة، وأنّ مؤشرات وأهداف تلك المرحلة قد تحولت إلى واقع في مختلف المناطق بفضل الله، ثم بفضل تكاتف جهود الجميع، وأنتم في مقدمتهم لتحقيقها.

أما مرحلة التأسيس المنهجيّ، فقد بذل فيها جهد متقدّم، ورغم تناثره وتعدّده واختلاف مستوياته، إلاّ أنّه يمكن القول بأنّ مجمل ذلك الجهد يمكن أن يشكل نموذجًا عامًا للفكرة، وإطارًا منهجيًا لها، إذا تم التعامل معه بعقليّة منهجيّة قادرة ومعطاءة. وقد بذلت جهود متعدّدة في العديد من العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة والعلوم الإسلاميّة، في كل من جامعة الإمام (كليّة العلوم الاجتماعيّة)، (وهيئة التأصيل) بوزارة التعليم العالي، ومعهد إسلامية المعرفة في السودان، و "كلية معارف الوحي والعلوم الاجتماعيّة" في ماليزيا، وكثير من جهود التأصيل في مصر والهند وباكستان والأردن، بحيث وجدت تراكمات يمكن أن تشكل حولها مدرسة علميّة، قادرة على المتابعة لإستكمال مسيرة التطوير والتجديد، والاضافة

المعرفيّة، وتعميق الفكرة. فقواعد المدرسة قائمة بإذن الله، والمطلوب عمل وجهد معرفيّ ومنهجيّ متواصل، لإستكمال بنائها وتجذيرها في الواقع الإسلامي المعرفيّ.

وهنا ننتقل إلى المرحلة الثالثة، وهي مرحلة تكوين الأطر والكوادر والطاقات العلميّة، القادرة على حمل الفكرة والسير بها وتطويرها والبناء عليها. وهي مرحلة تحتاج إلى التأليف والنشر، والأعمال الجماعية في التأليف والنشر، والندوات العلميّة المتخصّصة، والدورات التدريبيّة ذات المستويات المتعددة، والتي وضعنا لها دليلاً خاصّاً بالتعاون مع مجموعة منكم، للتدريب على ممارسة القضايا الأساسية التي يحتاجها العمل في مجال إسلامية المعرفة.

إنّ تأسيس "جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية SISS " و "جامعة الزرقا" وأية مؤسسات أكاديمية أخرى، سيجعل من هذه المؤسسات مؤسسات ظهيرة للمعهد وقضاياه على سائر المستويات المعرفيّة والمنهجيّة، وبخاصّة في إطار تأسيس المرحلة الثالثة – مرحلة بناء الطاقات والأطر المعرفيّة. ويبقى المعهد البؤرة التي يتفاعل فيها القادرون على تحقيق انجازات أوسع، في المرحلتين الأولى والثانية، لتكوين الروافد القادرة على امداد تلك المؤسسات بما تحتاج إليه. فالعلاقة بين هذه المؤسسات وبين المعهد علاقة تفاعل مستمر، وتعاون دائم، وجدليّة لا تتوقف، إلاّ عندما تتحول الفكرة إلى الأمة، لتصبح واحدًا من مشاريعها الاستراتيجيّة، وبذلك تتحول من فكرة مدرسة إلى إنجاز أمّة (إن شاء الله).

إنّ "المعهد العالمي للفكر الإسلامي" في المرحلة التي هو فيها الآن، قد تجاوز مرحلة الأشخاص، وتجاوز مرحلة المؤسسة المحصورة في أطر ضيّقة وآفاق محدودة في قدرتها، وبلغ مرحلة صار فيها مدرسة فكريّة متشعبة، منتشرة

في كل البقاع شرقًا وغربًا، لا يمكن التحكم فيها أو إيقاف مدها، فضلاً عن استئصالها لا سمح الله، أو القضاء عليها. لقد صارت في نظري روحًا يسري بين مثقفي الأمة ومؤسساتها الأكاديمية، لا يمكن أن يتحكم فيه أحد، ولا يمكن أن يقاد ايضًا على المستوى الفكري والمنهجي بشكل مباشر، بل يعمل المعهد على أن يقدم نماذجه وصيغه لتكون مجال مقارنة ومقاربة لدى الآخرين.

كما أن المعهد قد استطاع أن يرسي بعض التقاليد العلمية والأكاديمية، كرست له شخصيته المتميزة، وتمثل الان أهم نقاط قوته، ومنها:

١ – إنه مؤسسة أكاديمية، منهجية، معرفية، على درجة عالية من التجريد والتنظير والعمق الفكري والانضباط المنهجي، ولقد صارت بعض مطبوعاته نموذجًا للانتاج المعرفيّ العالي المستوى، الذي يصلح أن يكون في عداد النماذج التي يحتذيها المثقفون.

٢ – إنه مؤسسة علمية بذلت جهودًا جادة لتنتمي إلى الأمة الإسلامية في مجموعها، بل إلى البشرية في وحدتها، فلم ينجرف المعهد في مجالات الانحياز لفئة أو طائفة أو حكومة أو سواها، بل حاول أن يبقى مؤسسة معرفية منهجية، فوق كل عوامل الضعف والتفرقة والتصنيف التي تعاني أمتنا منها، ليظل منارة علمية يستفيد بها أبناء الأمة كافة.

٣ – حاول المعهد طيلة الفترة السابقة، وسيستمر إن شاء الله في المرحلة اللاحقة، أن لا ينزلق في الأعمال السياسية، أو يتبنى مواقف العداء أو الصداقة لهذا النظام أو ذاك، ليحافظ على نفسه وقيمه كمؤسسة علمية، تتجاوز التحزبات والانحيازات، وتتعامل مع كل فصائل الأمة دون حرج أو مواقف مسبقة، أو حساسيَّات ناجمة عن أيّ تصنيف من التصنيفات المشار إليها، فهي مؤسسة للأمة

في مجموعها؛ ولذلك فإنَّه قد نشر فروعه ومكاتبه وممثليه على خارطة واسعة، وبقدر عالٍ من التوازن.

٤ – إنّ المعهد أولاً وأخرًا مؤسسة حوار معرفيّ وانفتاح عقليّ ومنهج علميّ وفكر فلسفيّ، يحاول أن يؤدي دورًا ذا بالٍ، في بناء عقلية الأمة وتشكيل نفسيتها، وتلك هي نقطة قوته ومصدر طاقته. أسأل الله العلي القدير أن يمنّ علينا وعليكم جميعًا بالصحة والسلامة والعفو والعافية والطاقة، والقدرة على خدمة أمتنا، وإعادة بنائها، وتحقيق شهودها الحضاري، إنه سميع مجيب.

أخوكم

طه جابر العلواني / واشنطن

SISS
750-A Miller Drive, S. E.
Leesburg, VA 20176, USA